أماراباك: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
المجلد 9، العدد 30 (2018). ص ص65-86

الزَّهْرِيَّاتُ والنَّوْرِيَّاتُ فِي الأدَبِ الأَنْدَلُسِــيِّ: دِراسَـــةٌ وَصْفِيَّــةٌ

عمَّـار عبد القادر محمَّد شبلي*

الملخص: تقوم هذه الدراسة على وصف الأزهار والنُّوار في الأدب العربيِّ في الأندلس شعراً ونثراً، وتكونت من محورين مسبوقَين بتمهيد ومتبوعَين بخاتمة، إذْ تحدث التمهيد عن باع المشارقة الطويلة في وصف الزهور، وعن دور طبيعة الأندلس الساحرة في تحفيز الشعراء وشحذ قرائحهم، وعرضَ المحور الأول إلى الأقوال التي تحدثت عن أكثر من نوع واحد من الأزهار أو النُّوار، في حين تضمن المحور الثاني الأقوال التي انفردت بنوع على حدة مرتبةً على الحروف، أما المنهج المتبع في الدراسة فكان الوصفيَّ التحليليَّ.

الكلمات المفتاحية: الأدب الأندلسيُّ- الطبيعة الأندلسيَّة- الزهريَّات - النوريَّات.

Flowers and Blossoms in the Andalusian Literature: A Descriptive Study

Ammar Abdul-Qader Mohammad Shibli

Abstract: This study deals with flowers and blossoms in the Andalusian literature in poetry and in prose. The study consisted of two axes preceded by an introduction and followed by a conclusion. The introduction talks about the capability of the Easterners in describing flowers and the role of the fascinating nature of Al-Andalus in motivating the poets and honing their talents. The first axis presented to the sayings that talked about more than one kind of flowers or blossoms. The second axis contained the sayings that specialized in one kind only arranged on the letter. As for the adopted methodology, it was the descriptive analytical methodology.

Keywords: Andalusian Literature -Andalusian Nature - Flowers - Blossoms.

*أستاذ مساعد، دائرة اللغة العربيَّة، كلية الآداب، جامعة بير زيت، فلسطين، 00970597153242، am_bader71@yahoo.com

التمهيد:

عرف المشرقيون وصف الزهور، نوعًا وشكلاً وشذىً ولونًا، وتغنوا بها، وأكثروا من التشبيه فيها، ولم يكن الأمر حِكراً على الأندلسيين. وتحدثوا عن ذلك من خلال وصف الطبيعة بكل مكوناتها: السماءِ والبحار والأنهار والبرك والنواعيرَ والدواليب، ووصف الرياض والبساتين، وفاضلوا بين الأزهار فيها، إذْ يقول ابن الرُّوميّ (283هـ):[1] (ابن الرومي، 2002). **[السريع]**

أَفَضِّلُ الوَرْدَ على النَّرْجِسِ ... لا أَجْعَلُ الأَنْجُمَ كالأَشْمُسِ

لَيْسَ الذي يَقْعُدُ فِي مَجْلِسٍ ... مِثْلَ الذي يَمْثُلُ في المَجْلِسِ

بينما في موقف آخر يفضل ابن الرومي النَّرجس على الورد:[2](ابن الرومي، 2002).**[الكامل]**

خَجِلَتْ خُدُودُ الوَرْدِ مِنْ تَفْضِيلِهِ ... خَجَلاً تَوَرُّدُها عَلَيْهِ شاهِدُ

للنِّرْجِسِ الفَضْلُ المُبِينُ وإنْ أَبى ... آبٍ وحادَ عَن الطّريقةِ حائِدُ

ومن الشعراء المشارقة مَن وصف عددًا كبيرًا من الزهور والنوّار في قصيدة واحدة، من ذلك ما قاله ابن المعتز(296هـ) في وصف جملة من الأنوار:[3] (ابن أبي عون، 1950).**[الرجز]**

أمَا تَرى البُسْتانَ كَيفَ نَوَّرا ... وَنَشَّرَ المَنْشورَ بُرْدًا أَصْفَرا

وضَجِكَ الوَرْدُ على الشَّقائِقِ ... واعْتَنَقَ الغُصْنَ اعْتِناقَ وامِقِ

ويَاسَمِيْنٌ في ذُرى الأَغْصانِ ... مُنْتَظِمٌ كَقِطَعِ العِقْيانِ

والسَّوسَنُ الآزادُ مَنْشورُ الحُلَلْ ... كَقُطْنٍ قَدْ مَسَّهُ بَعْضُ البَلَلْ

وحَلَقُ البَهارِ حَوْلَ الآسِ ... جُمْجُمَةٌ كَهامَةِ الشَّمَّاسِ

وجُلَّنارٌ كاحْمِرارِ الوَرْدِ ... أوْ مِثْلُ أَعْرافِ دُيُوكِ الهِنْدِ

والأُقْحُوانُ كالثَّنايا الغُرِّ ... قَدْ فُصِلَتْ أَنْوارُها بالقَطْرِ

وممَّا لا شك فيه أنَّ الطبيعة الأندلسية الساحرة ألهمت الشعراء بتفاصيلها المختلفة، وأدت دورًا كبيرًا في لفت أنظارهم إلى الأزهار والنواوير، وبهرهم جمالها المتمثل في اللون والشكل والرائحة، ولِما تحويه من مناظر بهيجة، وأشكال بديعة، وأشذاء عبقة، ولا سيما عندما تلتقي في روض واحد، وقد شحذت هذه الطبيعة قرائحهم، ونمَّت مواهبهم؛ مما ترك أثراً طيباً في النفوس تُرجم إلى شعر يتغنى بالطبيعة ومفاتنها.

ويحضرنا في هذا المقام عبارة المقَّري الشهيرة التي يصف فيها محاسن جزيرة الأندلس وفضلها، إذْ يقول ((محاسن الأندلس لا تستوفى بعبارة، ومجاري فضلها لا يُشقُّ غباره، وأَنَّى تُجارى وهي الحائزة قصب السبق، في أقطار الغرب والشرق))[4] (المقري، 2008)، وقد مالوا إلى وصف عدد كبير من أزاهير الطبيعة ونواويرها، وقَصَدنا بالزهريات ما ينتمي إلى نبات الزينة، مثل البنفسج

---

(1) ابن الرومي، **الديوان**، ج2، ص424.

(2) ابن الرومي، **الديوان**، ج1، ص 412.

(3) ابن أبي عون، **كتاب التشبيهات**، ص 194.

) المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص 4.125(

والياسمين والنَّرجس، أما النَّوريّات، فقصدنا بها ما يُنتِج في النهاية ثمراً أو حبوباً أو بذورًا، سواءً أكان شجرًا كنَوْر اللوز ونور الرُّمان، أم نباتًا كنَور الباقلاء والكتان، وذلك بالرغم من تداخل المسميات ودلالاتها بين الزهريات والنوريات. وأفاد البحث في بعض الجوانب من تقسيم كتاب البديع للحِميري.

وقد اعتاد الأندلسيون ـــ بفضل الطبيعة التي حباها الله لهذه البلاد ـــ على التنزه واللقاءات الدوريَّة في الرِّياض والبساتين، وذلك ولعاً في حبِّ الزهور التي كانت ترمز إلى تحضُّرهم ورقيِّهم، وانعكس ذلك على أدبهم وثقافتهم، إذْ لم يشكل هذا الأمر فنَّاً أو ظاهرة في الشعر الجاهلي بحكم الأرض القاحلة ذات الطبيعة الصحراوية، وفي ذلك يقول ابن سعيد الأندلسي(685هـ):[5] (ابن سعيد، 1959). **[الطويل]**

هَلُمَّ أبا إسْحَقٍ نَحْوَ نَزاهَةٍ كَمِثْلِ التي عُوِّدَتْ بالدَّوْحِ والنَّهْرِ

ونُبْدِيْ لِزَهْرِ الرَّوْضِ والوَرْدِ وجْنَةً وثَغْرَ فَمٍ أَنْدى من الوَرْدِ والزَّهْرِ

كما اعتادوا في تشبيهاتهم على الاستعانة بالأزهار، ولا سيَّما في قول المديح والغزل، ونشطوا في وصف الزهور في أغراض أخرى منها الإهداء، والحكمة، ووصف مجالس اللهو والأنس، وأخذوا يخلعون عليها مشاعرهم، وكان لولعهم بحبِّ الزهور وشدة فرطهم فيه أثر بالغ في تضمين عناوين مؤلفاتهم ببعض الكلمات الدالة على ذلك، وإنْ لم تنفرد هذه المؤلفات في علم النبات والزهور، منها كتاب الحدائق لابن عاصم الغرناطي (829هـ)، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عيَّاض للمقَّري التلمسانيِّ (1041هـ)، والمقْتطف من أزاهر الطرْف لابن سعيد الأندلسيِّ (685هـ)، وريحانة الكتَّاب ونجعة المنتاب لابن الخطيب (776هـ).

لم تتناول الدراسة الأقوال التي جاء الحديث فيها عن الزَّهْر والنَّوْر بعامَّة دون وصفٍ أو ذِكرٍ للنوع؛ بل وقفتْ عند الأقوال التي كان أصحابها يذكرون فيها الزهرة بالاسم، ويصفونها في قطعة مستقلة أو من خلال موضوعات متفرقة، مثل الغزل والمدح كما سبق، وركَّزت الدراسة على الوصف المباشر للصورة دون الغوص في أنماطها، وعمدتِ الدراسة أيضاً في المحور الثاني إلى التشكيل في اختيار النصوص الشعرية التي انفردت بالحديث المباشر عن صنف بعينه.

- المحور الأول: الأقوال التي انفردت بأكثر من نوع

- المبحث الأول: الأقوال التي جاءت في الشعر

يقول أحمد بن هشام بن سعيد الخير(من القرن الخامس الهجري) يصف النَّرجس والورد:[6](ابن دحية، 2008). **[المنسرح]**

انْظُرْ إلى الرَّوْضِ في جَوانِبِهِ أَحْمَرُهُ ضاحِكٌ وأَصْفَرُهُ

إذا هَفَتْ فَوْقَهُ الرِّياحُ سَرى بِهَفْوِها مِسْكُهُ وعَنْبَرُهُ

نَرْجِسُهُ تَسْتَجِدُّ صُفْرَتَهُ حتَّى كَأَنَّ الحَبِيْبَ يَهْجُرُهُ

والوَرْدُ يَخْتالَ في مَنابِتِهِ تَطْوِيْهِ أَكْمامُهُ وتَنْشُرُهُ

يصف أحمد بن هشام روضاً من الزهور الضاحكة التي يفوح أريجها كلما هبَّت الرياح وحركت أغصانه، إذْ يشبه صفرة النَّرجس بإنسان شاحب الوجه بسبب هجران الحبيب، في حين يتبختر

---

(5) ابن سعيد، **اختصار القدح**، ص 73.

(6) ابن دحية، **المطرب**، ص 138، **الأكمام**: جمع كُم، وهي أوعية النوار وأغطيتها، **لسان العرب**، مادة كمم.

الورد لجماله وعبق رائحته التي يتحكم في انتشارها الصَّحن الذي يحوي الزهرة. وقال ابن عبد ربه (328هـ):[7](ابن عبد ربه، 2003). **[الخفيف]**

باكِرِ الرَّوْضِ في رِياضِ السُّــرُورِ بَـيْـنَ نَـظْـمِ الـرَّبِـيـعِ والـمَـنْـثُـورِ

في رِيــاضٍ من البَنَفْسَــجِ يَحْكِي أَثَرَ العَضِّ في بَيـاضِ الصُّـــدورِ

وتَرى السَّــوْسَــنَ المُنَعَّمَ يَحْكِي ذَهَـبًـا نـابِـتًـا عـلـى كـافُـورِ

يدعو ابن عبد ربه إلى التنزُّه عند الصَّــباح وقت تفتح الزهور، إذْ يشــبه البنفســج وما يحويه من خطوط متعرجة بآثار العضِّ في صدور البُنيَّات التي يخدش بياضَـها دبيب النمل، ويشبّه السوسن بالتِّبْر لشــدة صــفاره. ومن التشــبيهات الرائعة ما قاله الحاجب أبو الحســن جعفر بن عثمان المصحفي(372هـ):[8](الحميري،1997). **[الكامل]**

انْظُرْ إلى الرَّوْضِ الأَرِيْضِ تَخـالُـهُ كـالوَشْــي نُمِّقَ أَحْسَــنَ التَّنْمِيقِ

يَـومَ الـوَداعِ ومُـزِّقَـتْ أَثْـوابُـه جَـزَعًـا عَـلـيـهَ أَيَّـمـا تَـمْـزِيْـقِ

والنَّرْجِسُ الغَضُّ الـذَّكِيُّ مَحـاجِرٌ تَعِبَـتْ من التَّسْــهِيـدِ والتَّـأَرِيقِ

يَحَكِي لَنـا لَوْنَ المُحِـبِّ بِلَوْنِـهِ وإذا تُنُسِّــمَ نَكْهَـةَ المَعْشُــوقِ

يتعجب الشاعر من منظر الروض، ويرى في حسنه ثوبًا مزركشًا؛ لكثرة ما به من صنوف الزهر وألوانها، ويشبه السَّوسن الأصفر بالعاشق الذي اكفهرَّ وجهه جرَّاء الحرمان والكبت، وشق جيوبه وثيابه عند وداع محبوبته. بينما بات النَّرجس الطري الفوَّاح يشْــبه العيونَ التي أرهقها الســهر، وأصبح لونه كوجه المحبِّ الذي يظلُّ متتبعاً خطى المحبوبه؛ كي تعود له نضارته.

ولابن هانئ الأندلسي(362هـ) قطعة يصف فيها ثلاثة أنواع من الزهور:[9](ابن هانئ، د.ت). **[الكامل]**

وثَلاثَـةٍ لَمْ تَجْتَمِعْ في مَجْلِسٍ إلا لِـمِـثْـلِـكَ والأَدِيْـبُ أَرِيْـبُ

الوَرْدُ في رامِثْــنَـةٍ منْ نَرْجِسٍ والـيـاسَــمِـينُ وكلّـهُـنَّ غـريـبُ

فـاحْمَرَّ ذا واصْــفَرَّ ذا وابْيَضَّ ذا فَـبَـدَتْ دَلائِـل أَمْـرهُـنَّ عَـجِـيْـبُ

فَكَـأَنَّ هـذا عـاشِــقٌ وكَـأَنَّ ذا ك مُـعَشَّــقٌ وكَـأَنَّ ذاكَ رَقِـيْـبُ

يمدح ابنُ هانئ جعفرَ بن علي الأندلسي(364هـــ) من خلال وصف ثلاثة أنواع من الزهور التي اجتمعت في مجلس الأخير، وذلك لمكانته الرفيعة المتمثلة في رجاحة عقله، وســداد رأيه، وأخذ يصــف هذه الزهور البهيجة التي بدا عند رؤيتها متعجباً ومســتغرباً من جمالها، وذكاء رائحتها، ويرى في النرجس المصفرّ عاشقاً، والياسمين الأبيض رقيباً، بينما الورد الأحمر يراه معشَّقًا باللون الأحمر. وقال يوسف بن هارون الرَّمادي(403هـ) يصف الورد والأقاحي:[10](الحميري،، 1997). **[الطويل]**

---

(7) ابن عبد ربه، **الديوان**، ص 144.

(8) الحميري، **البديع في فصل الربيع**، ص 37.

(9) ابن هانئ، **الديوان**، ص 58.

(10) الحميري، **البديع**، ص 40.

وفي الوَرْدِ غَضَّــا والأَقاحِي مَحاسِنٌ سُــرِقْنَ من الأَحْبابِ للمُتَشَــوِّقِ

خُدُودُ عَذارى لو تَقَصَّـى حَياؤها وأَفْواهُ حُورٍ لو سَــمَحْنَ بِمَنْطِقِ

يصف الرَّمادي الوردَ بالطراوة، والأقاحي بالحُسن، حيث أُهديت هذه الملامح إلى المحبوبة، ويشبه الورد بخدود العذارى عندما يشتد حياؤها، والأقاحي بأفواه الحِسان عندما يتحدثن بالمنطق السليم. ويقول أبو الحجاج يوسف بن محمد البياسي:[11](ابن سعيد، 1959). **[السريع]**

لَئِنْ غَـدا الشَّــعْرُ شِـعـارًا لَـهُ فَـإِنَّــهُ كـالـوَشْــي لِـلـبُـرْدِ

وهَلْ تَرى أَحْسَــنَ مِنْ رَوْضَــةٍ يَـلْـتَـفُّ فِـيْـهـا الآسُ بـالـوَرْدِ

يشبه طولَ الشَّعر بخصل الحرير التي تحبك لتشكل إطاراً للبردة، ويشبه التشابك بينها بتعالق الآس بالورد. ولابن القوطيّة(367هــــ) قطعة يصــف فيها عددًا من الزهور جاء فيها:[12](ابن سعيد، 1973). **[البسيط]**

اشْرَبْ على السَّوْسَنِ الغَضِّ الذي فَغَما وبـاكِرِ الآسَ والـوَرْدَ الـذي بَـخَـما

كـأَنَّما ارْتَضَــعا خِلْفَي سَــمائِهِما فَـأَرْضَــعَـتْ لَبَنـاً هَـذا وذاكَ دَمَـا

خِـلَّانِ قَـدْ كَفَـرَ الـكـافُورُ ذاكَ وقَـدْ عَقَّ العَقِيْقُ احْمِراراً ذا ومـا ظَلَمـا

كـأَنَّ ذا دُمْيَـةٌ نُصَّــتْ لِمُعْتَرِضٍ وذاكَ خَـدٌّ غَـداةَ البَيْنِ قَـدْ لُطـمـا

أولا فَـذاكَ أنـابِـيْـبُ الـلَّـجَـيْـنِ وذا جَمْرُ الغَضـى حَرَّكَتْهُ الرِّيْحُ فاضْـطَرَما

يتغنى الشاعر بالسوسن الطري الذي تفتحَّت زهوره، وبزهور الآس والورد النديَّة، ويشبه الأبيض منها بأنه رضع لبنًا، والأحمر رضع دمًا، وينتقل إلى وصف حُسن آخر، إذْ يشبه السوسن والورد بخلَّين: الأبيض بالبارِّ والأحمر بالعاقِّ، ويرى في السَّوسن صورة مزينة أُحكمت ملامحها، في حين يرى في الورد خداً اشتد اللطم عليه، ثمَّ يعود ويشبه السَّوسن بفضة ذائبة تتدفق في أنابيب، والورد بجمر الغضى الذي يصمد لمدة طويلة لصلابة هذا النوع من الخشب. ويصف الرئيس أبو عبد الله محمد بن عائشة البلنسي بعض الزهور قائلاً:[13](ابن سعيد، 1973). **[الطويل]**

إذا كُنْتَ تَهْوى وجْهَهُ وهُوَ رَوْضَــةٌ بِهـا نَرْجِسٌ غَضٌّ ووَرْدٌ مُضَــرَّجُ

فَزِدْ كَلَفـاً فِيْـهِ وفَرْطَ صَـبـابَـةٍ فَقَـدْ زِيْـدَ فِيـهِ مِنْ عِـذارٍ بَنَفْسَــجُ

يشبه الشاعر وجه الممدوح الذي يشوبه بقع الكلف الحمر والبيض بروضة نرجس وورد، ويشبه البنفسج بالعِذار الذي ينبت أعلى الخدَّين. ويجمع ابن خاتمة الأنصاري(770هـــ) بين نوْر الشقائق، ونور الباقلاء في قوله:[14](ابن خاتمة، 1972).
[الكامل]

(11) ابن سعيد، **اختصار القدح**، ص 95.

(12) ابن سعيد، **رايات المبرزين**، ص 41.

(13) ابن سعيد، **رايات المبرزين**، ص 113.

(14) ابن خاتمة، **الديوان**، ص 103.

شَــــقـائِـقُ الـنُّـعْـمـانِ والـبـاقِـلا وَجْـهٌ بِكَفِ الحُسْــنِ قَدْ رُقِشـــا

كَـأَنَّ هَـذي وَجْـنَـةٌ خُـمِّشَــــتْ وَذا عِـذارٌ فَـوْقَـهـا قَـدْ وَشــــى

يشبه ابن خاتمة قطعة أرض مزروعة بالباقلاء، وقد تخللها شقائق النعمان بوجه جميل رُقش بريشة رســـام محترف، ويرى في الشـــقائق مواضـــعَ خمش تعرض لها هذا الوجه المرقوش، وفي الباقلاء سوالف أسدلت على هذا الوجه؛ فسترت أجزاءً منه، وقصد به الشقائق.
ومن ذلك ما قاله أبو القاسم عبد الرحمن العثماني:[15](ابن سعيد، 1959). **[السريع]**

إنَّ الّـذِي أَهْـواهُ مـا شـــــانَــهُ إلاّ عِـــذارٌدَبَّ فـــي الـــخَـــدِّ

وذلِـكَ الشِّــــيْـنُ لَـهُ زِيْـنَـةٌ كـالآسِ مُـلْـتَـفٌ عـلـى الـوَرْدِ

يجمع الشــاعر بين الحُســن والقُبح في هذا القول، والوجه الجميل الذي يهواه لا يشــوّهه إلا خشــونة العِذار وتشابك الشَّعَر وكثافته، وبالرغم من هذه الصورة القاتمة؛ فإنه يرى فيها صورة بديعة تشبه التفاف زهر الآس بالورد. ومن ذلك أيضاً قول أبي علي الحسين النشار:[16] (التجيبي، 2012). **[الوافر]**

وَبَيْنَ الـخَـدِّ والشَّـــفَتَيْنِ خـالٌ كَزِنْجِيٍّ أَتى رَوْضـــــاً صَـــبـاحـا

تَـحَيَّرَ فـي جَنـاهُ فَلَيْسَ يَـدْرِي أَيَجْنِي الوَرْدَ أَمْ يَجْنِي الأَقـاحـا؟

يشبه الشاعر الخال في وجه المحبوبة بزنجيٍّ لشدة سواده، يتجول في روض أزاهير، وقد احتار ما يَقطف من الزهر الذي شابه صنفٌ منها حُمرة الخدِّ، وآخرُ الثغرَ الباسم. ويقول ابن خفاجة (533هـ) في تشبيه حصان:[17](ابن خفاجة، دت).
[السريع]

وأشـــقرٍ تَضَّـــرِمُ مِنْـهُ الوَغى بِشُـــعْلَـةٍ مِنْ شُـــعَلِ البـاسِ

مِـنْ جُـلّـنـارٍ نـاضِــــرٍ لَـوْنُـهُ وأُذْنُـــهُ مِـــنْ وَرَقِ الآسِ

يَـطّـلِـعُ لِـلْـغُـرَّةِ فـي شُــــقْـرِهِ حُـبـابَـةٌ تَضْــحَـكُ فـي كـاسِ

يصف الشاعر خفة حركة الحصان وحماسته في الفرِّ والكرّ بشعلة تُضرم أرضَ المعركة، ويشبه نضـارة لونه بزهر الرُّمان، وأذنه المنتصبتين بورق الآس، فيما يشبّه غرته البيضـاء المنسدلة على وجهه بفقاعة في كأس الخمر، وهذا ما يدل على الطبيعة الملهمة التي أمدَّت الشـــعراء بالأفكار والمشــاعر، وترجمتها إلى صــور تنبض بالحياة، وتمور بالحركة. ومن الشـعراء الأندلسـيين الذين وظَّفوا الزُّهور في تشبيهاتهم ابن الزَّقاق البلنسي(529هـ):[18](ابن الزقاق، 1964). **[المنسرح]**

والرَّوْضُ أَهْـدى لَنـا شَــقـائِقَـهُ وآسُـــــهُ الـعَـنْـبَـرِيُّ قَـدْ نَـفَـحـا

قُـلْـنـا وأَيْـنَ الأَقـاحُ؟ قَـالَ لَـنـا أَوْدَعْتُـهُ ثَغْرَ مَنْ سَــقى القَـدَحـا

فَظَـلَّ ســــاقِي المُـدامِ يَجْحَـدُ مـا قـالَ فَلَمَّـا تَبَسَّـــمَ افْتَضَـــحـا

(15) ابن سعيد، **اختصار القدح**، ص 196.
(16)التجيبي، **زاد المسافر**، ص 63.
(17) ابن خفاجة، **الديوان**، ص 149.
(18) ابن الزقاق، **الديوان**، ص 124.

يقدم الروض هداياه للشاعر من الشقائق والآس الذي انتشر شذاه، بينما قدَّم الأقاحي هدية للنديم، حيث ظلَّ منكراً لذلك، ولكن لم يصمدْ، وافتضح أمره عندما تبسَّم، وبان جمال ثناياه. ويقول الوزير أبو عامر ابن مسلمة:[19](الحميري، 1997). **[الكامل]**

وثلاثَـةٍ لمـا اجْتَمَعْنَ بمَجْلِسِـــي أَقْرَرْنَ عَيْنَ تَنَزُّهِي وتَـأَنُّسِـــي

نَـمَّـامُ طِـيْـبٍ فـي بَـهـارٍ بـاهِرٍ وبَنَفْسَـــجٍ أضْـــحى حَبِيْبَ الأَنْفُسِ

فـالسَّـــبْقُ مِنْـهـا للبَهـارِ لأنَّـهُ يَـأْتِي ونَوْرُ الرَّوْضِ لمْ يَتَحَسَّـــسِ

ثُمَّ البَنَفْسَـــجُ فَهْوَ يَتْلُوهُ لَنـا راقَتْ ملاحَتُهُ فأصْـــبَحَ مُؤْنِسِـــي

يعدد الوزير أبو عامر ثلاثة أصناف من الزهور في مجلسه كانت سبباً في تفسحه وأنسه، وهي النَّمام ذو الرائحة الطيبة، والبهار العجيب في منظره، والبنفســج القريب إلى النفوس، إذْ يُجري منافسة بينها، ويجعل قصب السبق فيها للبهار؛ لأن موسمه يأتي مبكراً قبل تفتُّح بقية الأزهار، ثم يتلوه البنفسج لملاحته، في حين يأتي النمام في المرتبة الأخيرة.

وفي قصيدٍ بديع أحسن أبو بكر ابن نصر وصف باقة من الزهور، وكان في مدح محمد بن عامر الحِميري، وهو والد صاحب كتاب ((البديع في فصل الربيع))، حيث قال:[20](الحميري، 1997). **[الكامل]**

للهِ نَـيْسَـــانٌ فَـفِـيـهِ تَـمَّ مـا قَـدْ كـان قَـبْـلَ بَـدا بِـهِ آذارُ

أمَّـا البِقـاعُ فـإنَّـهـا جـادَتْ لَنـا بشُـــمُوسِ نَوْرٍ بيْنَـهـا أقْـمـارُ

كـالأقْحُوانِ بَـديهـةً فـاسْـــمعْ لَـهُ في الوَصْـــفِ ما فيه اللّبيبُ يَحارُ

فَتَراهُ يَبْسِـــمُ عن ثنـايـا فِضَّـــةٍ تَبْـدُو إلـيْـكَ لِثَـاتُـهـنَّ نُضـــارُ

وَشَـــقائِقُ النُّعْمانِ قُمْصٌ أَشْـــبِعَتْ فـي حُـمْـرَةٍ فَـلَـهـا بـذا إيْـثـارُ

والنَّرْجِسُ الغَضُّ الأنِيْقُ يَغُضُّ ألـ حـاظاً مِراضـــاً ما لَهـا أشْـــفارُ

والسَّـــوْسَـــنُ الفَيْنانُ صِـــفْهُ فإنَّهُ غَضٌّ تَكـادُ تُـذيْبُـهُ الأبْصـــارُ

يتغنى الشاعر بشهر نيسان الذي تبلغ فيه الزهور غاية تفتُّحِها، وقوة أريجها، وقد امتلأت المروج بالزهور والنواوير التي يشبهها بالشموس والأقمار، ويرى أنَّ اللبيب يحار في وصف الأقحوان الذي يخلب العقولَ جماله، ويسحر الناظرين إليه، ويشبه أوراقه المصفوفة بانتظام بأسنان بيضاء مزروعة في لِثة زاهية، تشبه الفضة في نصاعتها. ويشبه شقائق النعمان بقمصان صُبغت باللون الأحمر لشدة احمرارها، ويشبه النرجس الأصفر الطري بالسيوف المثَلَّمة، وذلك لتعرج أطراف أوراقها، ويصف رقَّة السوسن بقوله: إنَّه لا يحتمل أحدًا أنْ ينظر إليه خوفاً من تبخره وذوبانه، إذْ يشبه النظر إليه بمادة قادرة على تذويب السوسن، وهذا كناية عن رقته وشدة ليونته.

يبدي الشاعر إعجابه من ألوان الزهر المختلفة، منها الفاقع في صفرته، والقاني في حمرته، والحالك في سواده، كما يعجب بالخِيريِّ والسوسن والنسرين، وقد ازدانت بهذه الألوان والباقات،

---

(19) الحميري، **البديع**، ص 45.

(20) الحميري، **البديع**، ص 56.

ويشير أيضاً إلى تزامن تبسُّم الأقحوان الطَّري، وتفتُّح الورد النَّضِر، ويشبه النرجس بالأحجار الكريمة؛ لاندهاشه من منظره العجيب. وفي مدح قاضي القضاة، يقول ابن سارَّة:[21](الحميري، 1997) **[الخفيف]**

هاكها كالجَنُوبِ تُزْجِي القِطارا صافَحَ الوَرْدُ نَفْحَها والعَرارا

خَجِلَ الصُّبْحُ مِنْ شَكاتِي فأبْدى سَوْسَنَ الخَدِّ مِنْهُ لِي جُلّنارا

يصور الشاعر الريح وهي تحرك الزهور، ويشبه اقتراب الواحد منها إلى الآخر بالمصافحة، ويشبه الخدَّ الأبيض بالسَّوسن، وعند الخجل يشبهه بزهر الرُّمان. ويقول أبو بكر ابن عمَّار الشِّلْبِي(477هـ):[22](الضبي، 1997). **[الوافر]**

رَشَأً يَرْنُو بِنَرْجِسَةٍ ويَعْطُو بِسَوْسانٍ وَيَبْسُمُ عَنْ أَقاحِ

تُشِيْرُ إلي قِرْطاهُ وتُصْغِي خَلاخِلُه إلى نَغَمِ الوَشَّاحِ

يتغزل الشاعر في غلام، ويصوره بالغزال، إذْ يشبه طرْفه حين يحترس بالنرجسة، وحين يرفع رأسه بالسوسن، ويشبه أسنانه بالأقاحي، وأذناه منتصبتان نحو الشاعر، وخلاخيله تترنم على ألحان الوشَّاح. ويجري يوسف بن هارون مقارنة بين الورد وسائر الأزهار:[23](ابن أبي عون، 1950).**[السريع]**

لِلآسِ والسَّوْسَنِ والياسَمِيـ نِ الغَضِّ والخِيْرِيِّ فَضْلٌ شَدِيْدْ

سادَتْ بِهِ الرَّوْضُ ومِنْ بَيْنِها وبَيْنِ فَضْلِ الوَرْدِ بَوْنٌ بَعِيْدْ

هَلْ لَكَ في الآسِ سِوى شَمَّةٍ تَطْرَحُهُ مِنْ بَعْدِها في الوَقُودْ

والوَرْدُ إنْ يَذْبُلْ ففي مائِهِ نَسِيمُ ضَمِّ الإلْفِ بَعْدَ الصُّدُودْ

والسَّوْءُ في السَّوْسَنِ عامٌ وفي ساعَةِ سَوْءٍ قَدْ تُزارُ اللّحُودْ

والياسَمِينُ الياسُ في بَذْئِه فَهْوَ لِمَنْ يَطْمَعُ هَمٌّ عَتِيدْ

أَخَلَّ بالخِيرِي خُلْقٌ كَخُلْـ قِ اللِّصِّ يَسْتَيْقِظُ بَعْدَ الهُجُودْ

فالوَرْدُ مولى الرَّوْضِ لكنَّهُ في قَدْرِهِ عَبْدٌ لِوَرْدِ الخُدُودْ

يفاضل يوسف بن هارون بين الورد من جهة وبين الآس والسوسن والياسمين والخِيْري من جهة أخرى، ويرى أنَّ نضارة الآس لا تدوم، إذْ لا يتحمَّل سوى شمَّة واحدة، ثم يذبل ويصير يابسًا يسهل احتراقه، وما يعيب السوسن أن استخدامه يكثر في تزيين اللحود، ومعنى ذلك أنَّ استخدامه اقتصر على المناسبات الحزينة؛ أمَّا الياسمين- فإذا تسلل القسم الأول منه للنفْس- فسيصبح همًّا حاضراً لديها ومرافقاً لها في أزمانها؛ لأن الشاعر يقصد في هذا الجزء اليأسَ - مع تخفيف الهمزة - ويشبه الخِيري بعيون اللص التي لم ترَ النوم، أمَّا الورد فيجمع الشتيتين بعد الصدود، ولو كان ذابلاً.

- المبحث الثاني: الأقوال التي جاءت في النثر

من القطع النثرية التي جاءت بوصف بديع للأزهار ما كان على لسان عمر بن هشام، حيث

---

(21) الحميري، **البديع**، ص 57.

(22)الضبي، **بغية الملتمس**، ص 96.

(23) ابن أبي عون، **كتاب التشبيهات**، ص 57.

كتب رسالة لصاحبٍ له يصف ما عنده من الأزهار في فصل الربيع، جاء فيها ((نَحْنُ ـ أَكْرَمَكَ اللهُ ـ على بُسُطِ الرَّياحين، ودرانُكَ الورْدُ والياسَمِينُ، ووشْيُ رِياضٍ مُونَقَة، حاكَتْها أَيْدِي الرَّبِيعِ المُغْدِقَةُ، تُلاحِظُنا عَنْ أَعْيُنِ النَّرْجِسِ والسَّوْسانِ، بِأَحْلى مَحاجِرَ وأَجْفانٍ، وتبْسُمُ عَنْ نَوْرِ الأَقْحوانِ، بِمِثْلِ الدُّرّ والمَرْجانِ، فهي مُتَضَـوِّعَةٌ عَنْ لَطائِمِ المِسْـكِ، مُتَنَفِّسَـةً بِأَرَجِ الوَرْدِ، جَذِلَةً بَهِجَةً، فائِحَةً أَرِجَة، فَإِنْ تَقارَنَ حُسْـنُها بِحُسْـنِ وَجْهِكَ فَهِيَ حالِيةٌ مُشْـرِقَةٌ، وإِنْ عُطِّلَتْ مِنْ ضِـياءِ غُرَّتِكَ فَهِيَ باكِيَةٌ مُطْرِقَة)).[24](الحميري، 1997).

يصف عمر بن هشام حديقة زهور متنوعة، إذْ يرى في الرَّياحين بساطاً أو فرشاً للحديقة، وشكل الورد والياسمين لباسًا للمكان، وهذا كناية عن جماله وسحره، ويشبه الروض بالثوب المطرز، والنرجسَ والسوسن بالعيون النجلاء، ونورَ الأقحوان بالأحجار الكريمة، وعبقَها القوي برائحة المسك الفائحة من أوعيته، ويقول: إن شجيرات هذه الحديقة منتصبة وفرِحة، وشذاها يتضوع في المكان، ويشبّه حسن الروض بالمرأة الفاتنة المشرقة، وإنْ حُجب عنها النور تظل نديَّة في حالة من التَّجدد والنَّماء، وهذا ما يشبه في أيامنا الزُّهور التي تحيا في الظل داخل البيوت.

وكتب أبو جعفر ابن الأبَّار(433هـ) قطعة في وصف الزهور إلى صاحب الشرطة أبي الوليد العثماني عندما خرج إلى التنزُّه بصحبة أبي الوليد الحِميري، كان منها ((... وجَبِينُ الجَوّ طَلْقٌ، وغَلائِلُ السَّماءِ زُرْقٌ، وحاجِبُ الشمسِ مُتَطَلِّعٌ، وجِيدُ الأُنْسِ مُتَتَلِّعٌ، وريقُ العَيْشِ خَصِرٌ، وبُرْدُ الأَرضِ خَضِرٌ، قَدْ فُوِّفَ من الزَّهْرِ، بِمِثْلِ الأَنْجُمِ الزُّهْرِ، والرِّياضُ راضِيةٌ من الحَيا، مُتَبَرِّجَةٌ بعدَ الحَياءِ، أَهْدَتْ لَها المُزْنُ دُرَرَها، فَأَبْدَتْ يَواقِيتَها ودُرَرَها، وخَشِيَتْ بالكَتْمِ عُقوقَها، فاسْتَنْفَدَتْ زُمُرُّدَها وعَقِيقَها، إنْ حَيّتْكَ بالشَّقائِقِ، فَكاللِّداتِ الشَّقائِقُ، مُغْلَفاتُ العَصائِبِ، مُنْشَراتُ الذَّوائِبِ، أو بالنَّرْجِسِ والوَرْدِ فكالعُيونِ النَّواظِرِ إلى الخُدُودِ النَّواضِرِ، بلْ ذاكَ صُبْحٌ مُشْتَمِلٌ على شَمْسٍ أَصِيلٍ، وهذا خَجِلٌ مُسْتَوْلٍ على خَدٍّ أَسِيلٍ، أو سَفَرَتْ عن البَنَفْسَجِ الأَنِيقِ، فكَلابِسٍ ثَوْبَ المِسْكِ الفَتِيقِ...)). [25] (الحميري، 1997).

يصف أبو جعفر الطبيعة في فصل الربيع، ويبين أجواءها الجميلة، وبطائن السماء الزرق، والشمس في إشراقها، والجِيد في قامتها، وريق العيش فيها بارد، وشبَّه برود الأرض بالبساط الأخضر الذي غُلّف بالزهر الذي شابه النجوم، ويرى في الرياض العروسَ الحَيِيَّة المتزينة، وهي تعرب عن سعادتها بهذه الحياة، ويقول إن هطول الأمطار عليها يفتّحُ أزهارها، وكأنها أحجار كريمة من الياقوت والدرّ، ويشبه الزهرة في برعمها الذي لم يتفتَّح بالمرأة التي كتمت حملها، ويستمر في وصف هذه الزهور، ويرى في الشقائق توائم، إذْ يشبهها بالنساء ذوات العُصب التي تتدلّى منها الغرر، ويشبه النرجس بالعيون المحدقة في الخدود الحُمر، ثم يرى البنفسج في أناقته بأنه يلبس ثوباً من المسك، كناية عن طيب رائحته.

ومن عِلية القوم الذين وصفوا الزهور الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري في رسالة كتبها إلى المنصور بن أبي عامر عن بنفسج العامرية الذي فضَّله على النرجس والبهار ((... وقد ذَهبَ البَهارُ والنَّرجِسُ في وَصْفِ مَحاسِنْهما، والفَخْرِ بِمُشابِهِهما كلَّ مَذْهَبٍ، وما مِنْهما إلا ذو فَضِيلَةٍ، غيْرَ أنَّ فَضْلِي عليْهِما أَوْضَحُ من الشَّمسِ التي تَعْلونا، وأَعرَفُ من الغَمامِ الذي يَسْقِينا، فإنْ كانا قَدْ تَشَبَّها في شِعْرَيْهِما المُرْتَفِعَيْنِ إلى مَولايَ ـ أَبقاهُ اللهُ وأَيَّدَهُ ـ بِبَعْضِ ما في الأَرْضِ مِن جَواهِرِ الأَرْضِ، ومَصابِيحِ السَّماءِ، وهي مِنَ المواتِ الصَّامِتِ، فإنِّي أَتَشَبَّهُ بِأَحْسَنِ ما زَيَّنَ اللهُ به الإنسانَ، وهو الحَيوانُ الناطِقُ مِنْ أدواتِ خَلْقِهِ، وأَنْفَسِ ما رُكِّبَ فيه من مَوادِّ حَياتِه، مع أَنِّي أَعْطَرُ مِنهما عِطراً وأَحْمَدُ خُبْراً، وأَكْرَمُ إمْتاعاً، شاهِداً وغائِباً، ويانِعاً وذابِلاً، وكلاهُما لا يُمْتِعُكَ إلا رَيْثَما يَبْدُو لِلْعُيونِ، ويَسْلَمُ من الذّبولِ، ثمَّ تَسْتَكْرِهُ الأُنُوفُ شَمَّهُ، وتَسْتَدْفِعُ الأَكُفَّ ضَمَّهُ، فأينَ هذه الحالُ من الاسْتِمتاعِ بي رَطْباً، وادِّخارِي في خَزائِنِ المُلوكِ جافّاً، وتَفْضِيلِي على أَلْسِنَةِ الحُكَماءِ، وتَصْرِيْفِي

(24) الحميري، **البديع**، ص 36.

(25) الحميري، **البديع**، ص 72.

في مَنافِعِ الأَعْضـاءِ، وإنْ فَخْراً باسْتِقْلالِهِما على ساقٍ هي أَقْوى من ساقِي، فلا غَرْوَ أَنَّ الوَشْيَ ضَعِيفٌ، والهَوى لَطِيفٌ، والمِسْكُ خَفِيفٌ)).[26](الحميري، 1997).

يُجري ابن إدريس، مفاضلة بين البنفسج من جهة، والنرجس والبهار من جهة أخرى، ويقول على لسان البنفسج: إن الأخيرين ابتعدا في وصف محاسنهما، وبالغا في المفاخر، ويقرُّ بأنَّ فضله عليهما أجلى من الشمس في فضلها على سائر الكواكب، وأجلى من ماء المُزن على الكائنات، ويبين أبرز عنصر في المفاضلة بأنْ شُبِّه البهار والنرجس بجماد، ويعدّ البنفسجُ ذلك حجة ضعيفة، بينما هو شُبه بكائن حي، ومع ذلك فشذاه أفوح، ومداه أفسح، وصيته أذيع من صيتهما عند صفوة القوم، وروحه أطول، إذْ ينأى بالذبول عن نفسه مدَّة أبعد، ومنظره يسعد الجميع، وإنْ جفَّ فسيصبح تحفة فنية في خزائن الملوك، وهو على عكس ما يكون مع البهار والنرجس عند الذبول، ويقول: إنَّ قساوة عودهما ليست علامة فارقة في الحسن والفضل، ويبرهن على ذلك برقة الحرير في ملمسه، ولطافة الهواء في إحساسه، وخفة المسك في انتشاره.

- المحور الثاني: الأقوال التي انفردت بنوع على حِدة

كانت الأقوال التي وصفت صنفاً واحداً من الزهور قليلة في الشعر أو النثر، إذا ما قيست بالأقوال التي تضمنت عدداً منها، واقتصر الأمر في هذا المحور على نماذج متنوعة، ولم يحصر ما قيل في هذا الموضوع.

- المبحث الأول: الأقوال التي جاءت في الشعر

أولاًـ الأزاهير: وتضم باقة من عشرة صنوف، وهي على النَّحْو الآتي:

1- **الأقحوان:** يصف الفقيه أبو الحسن ابن علي الأقاحي بقوله: [27](الحميري، 1997)..**[الطويل]**

إذا مُيِّزَتْ أَنْوارُ كُلِّ خَمِيلَةٍ   فَنَوْرُ الأَقاحِ الغَضِّ مِنْها ثُغُورُها

تَأَلَّفْنَ دُرَّاً فَوْقَ أَغْصانِ سُنْدُسٍ   ونَكْهَةَ طِيْبٍ بالصَّبا تَسْتَثِيْرُها

إنَّ أكثر ما يميز الرياض نوْر الأقاحي الذي يشبه الأفواه في شكلها، والدرَّ في تآلفها، وما يميزه أيضاً سهولة انتشار رائحته العطرة التي لا تحتاج سوى هزةٍ خفيفة من ريح الصَّبا. وله أبيات أخرى يقول فيها:[28] (الحميري، 1997).**[المجتث]**

كأنَّ نَوْرَ الأَقاحِي   درٌّ تَضَمَّنَ عَسْجَدْ

أوْ لُؤْلُؤٌ حَوْلَ صُفْرٍ   مِنَ اليَواقِيتِ نُضِّدْ

وَقَدْ بَدا فِي غُصُونٍ   مُخْضَرَّةٍ كالزَّبَرْجَدْ

يرسم الشاعر صورًا بديعة للأقحوان فيشبهه في البيت الأول بأحجارٍ ثمينة رُصِّعت حول قرص من الذهب، أو لؤلؤ حول ياقوت منضود، حيث تجلَّى في سيقان تشبه الزبرجد، وهو من الأحجار الكريمة أيضاً. ومن الصور الخلابة في الأقاحي قول الأسعد بن بليطة:[29] (ابن بسام،1998).**[المنسرح]**

أَحْبِبْ بِنَوْرِ الأَقاحِ نُوَّارًا   عَسْجَدُهُ في لُجَيْنِهِ حارا

أيُّ عُيُونٍ صُوِّرْنَ مِنْ ذَهَبٍ   رُكِّبَ فيها اللُّجَيْنُ أَشْفارا

(26) الحميري، **البديع**، ص 83.

(27) الحميري، **البديع**، ص153.

(28) الحميري، **البديع**، ص 153.

(29) ابن بسّام، **الذخيرة**، ج1، ص 498.

إذا رَأى النَّـاظِـرون بَـهْـجَـتَـهـا قـالُـوا نُـجُـومٌ تُـحِـفَّـأَقْـمـارا

كـأَنَّ مـا اصْـفَرَّ مِنْ مُوَسَّـطِـهِ عَـلِـيْـلُ قَـوْمٍ أَتُـوهُ زُوَّارا

يزداد ميول الشـاعر إلى نوْر الأقاحي لما يتوسـطه من لون ذهبي، ولما يحيط به من لون فضـي، الأمر الذي يزيد من خيال الشـاعر ومن إدراكه، إذْ يحار الوسـط الذهبي في محيطه الفضـي، ثمَّ يصـور هذا الوسط بالعيون التي ركِّبت فيها وريقات الأقاحي بالشفرات الحادَّة، ويمضـي في ابتكار الصـور البهية، ويشـبه هذا النَّوْرَ بالبدر الذي تحفُّه النجوم، ويختتم القطعة بتصـوير وسـط الزهرة بإنسان عليل، ومحيطه بالقوم الذي يُعيده، ويقف بجانبه في محنته. وقال الوزير أبو عامر ابن مسلمة في صفة الأقحوان:[30] (الحميري، 1997). **[السريع]**

وأَقْـحُـوانٍ راقَـنِـي نَـوْرُهُ إذْ ظَـلَّ يَرْنُـو بِـعُيونٍ حِسـانْ

كـأَنَّـهُ مُـدْهُـنَـةٌ مِـنْ مَـهـاً مُحْكَمَـةٌ في وَسْـطِهـا زَعْفَرانْ

يبدي الشاعر إعجابه بنوْر الأقاحي، ويشبهه بالعيون الحِسان، ويرى في زهرة الأقحوان قدحاً يُجمع فيه الدهون، وغطاؤه المحكم من الزعفران، وكأنَّ الشحم قد بزَّ من الجوانب لإحكام الغطاء عليه.

2- البنفسج: يقول ابن هانئ الأندلسي(362هـ) في وصف البنفسج:[31](الحميري، 1997). **[البسيط]**

بَنَفْسَـجٌ جُمِعَـتْ أَنْوارُهُ فَحَكَـتْ كُحْلاً تَشَـرَّبَ دَمْعًا يَوْمَ تَشْـتِيْتِ

كَـأَنَّ قُضْـبـانَـهُ والرِّيْحُ تَحْمِلُهـا أَوائِـلُ النَّـارِ في أَطْرافِ كِبْرِيْـتِ

يشبه الشاعر البنفسج بالكحل الذي خالطه الدمع عند فراق الأحبَّة، وقضبان الزهرة بأعواد الكبريت، أو المشـاعل. وأنشـد الفقيه أبو الحسـن ابن علي أبياتًا في البنفسـج يمدح فيها ذا الوزارتين أبا عمرو ابن عبَّاد:[32](الحميري، 1997).

[الطويل]

أَلَا حَبَّـذا المَحْبُوبُ نَوْرُ البَنَفْسَـجِ وَأَحْـبِـبْ بِـمَـرْآهُ الـبَـدِيْـعِ وأَبْـهِـجِ

حَيـاةٌ وَرَوْحٌ لِلْـعَلِيْـلِ نَسِـيْمُـهُ وَمَنْظَرُهُ أَنْسُ المُتَيَّمِ والشَّـجِي

يمدح الشـاعر زهر البنفسـج، ويتخذه محبوباً له، ومرآة بديعة تبعث على الابتهاج، فمنه يُسـتمد السرور والانتعاش للعليل، ويكون منظره أنيساً للعاشق، أو المكلوم في آنٍ واحد.

وله بيتان استوليا على أمد الإحسان كما يقول أبو الوليد الحِميري:[33](الحميري، 1997). **[الطويل]**

إذا مـا نَواوِيْرُ البَنَفْسَـجِ أَطْلَعَـتْ جَواهِرَها فِي الرَّوْضِ نَثْراً بِلا سِـلْكِ

رَأَيْتَ سَماءً وُشِّحَتْ دِرْعَ خُضْـرَةٍ عَلَيْها نُجُومٌ طالِعاتٌ مِنَ المِسْـكِ

(30) الحميري، **البديع**، ص 152.

(31) الحميري، **البديع**، ص 110.

(32) الحميري، **البديع**، ص 112.

(33) الحميري، **البديع**، ص 112.

يشـبه الشـاعر روض البنفسـج عند تفتُّح أزهاره بجواهر منثورة دون خيط يجمعها، فتصـبح الصورة الكلية تشبه سماءً قُلِّدت درعاً أخضر تخلله نجوم متناثرة. وللوزير الكاتب قطعة يظهر فيها تفوق البنفسج على الخيري:[34](الحميري، 1997).

[الكامل]

وَبَنَفْسَجٍ أَرْبى عَلى النُّوّارِ — وَأَفادَنا عَطْراً بِلا عَطّارِ

فَكَأَنَّ أَعْلاهُ فِي فَيْرُوزَجٍ — وبِساطُهُ فِي خُضْرَةِ الأَشْجارِ

وافاكَ فِي وَقْتِ الزِّيارَةِ قائِمًا — وَقَد انْحَنى لِلْوَحْيِ بِالأَسْرارِ

يصف الشاعر روض البنفسج بمعطرة فوَّاحة، ويرى فيه طبقتين، السفلى بساط أخضر، والعلوية طبقة من الأحجار الكريمة التي يميل لونها إلى زرقة السماء تدعى ((فيروزج))، ثم يشبه سيقانه بالقائم للصلاة، وميول النَّوْر بمن ينحني للمناجاة والدعاء.

3- **الخِيري:** يقول يوسف بن هارون في صفوا الخيري (403هـ):[35](الحميري، 1997). **[البسيط]**

انْظُرْ غَرائِبَ لِلْخِيْرِيِّ ظاهِرَةً — عِنْدَ الظَّلامِ وعِنْدَ الصُّبْحِ تَسْتَتِرُ

كأَنَّهُ سارِقٌ طِيْباً تَفَرَّقَ فِي الظْ — ظَلْماءِ فَهْوَ بِنَمِّ الرِّيْحِ مُشْتَهِرُ

ما يثير الدهشة والغرابة عند الشاعر هو تفتُّح زهور الخِيري ليلاً، وغمضها نهارًا، وهذه الظاهرة تأتي مخالفة لما يكون مع الزهور الأخرى، وشبه ذلك بلصٍّ سرق طيباً في الليل، وانتشرت رائحته بفعل الريح، وذلك كناية عن سرعة انتشار رائحته الناجمة عن سرعة اللصّ عند فراره من المكان؛ ليتوارى عن الأنظار قبل بزوغ الفجر. وقال الفقيه أبو الحسن ابن علي في الخِيريّ:[36](الحميري، 1997).

[السريع]

ما أَكْرَمَ الخِيْرِيَّ فِي فِعْلِهِ — يَسْهَرُ إذْ نَوْرُ الرُّبا ناعِسُ

كَأَنَّما خافَ عَلَيْهِ العِدا — فَهْوَ لَهُ فِي لَيْلِهِ حارِسُ

يبيِّن الشاعر كرمَ زهر الخِيري الذي يتجلَّى في طول مدة تفتُّح الزهرة، قياسًا بالأزهار الأخرى التي تغمض عيونها في أوقات مبكرة، إذْ يصوِّر الخِيري حارسًا لأزهار الرُّبا خوفًا عليها من الأعداء، وهي تغطّ في النوم. ولأبي جعفر ابن الأبَّار بيتان في وصف الخيري غاية في الرِّقة والحسن:[37](الحميري، 1997). **[السريع]**

لا تَعْذُلُوا الخِيْرِيَّ فِي كَتْمِهِ الطْ — طِيْبَ اسْتِتاراً فَهْوَ عَيْنُ الصَّوابْ

الصُّبْحُ شِبْهُ الشَّيْبِ فِي لَوْنِهِ — فَعافَهُ واللَّيْلُ شِبْهُ الشَّبابْ

استكمالاً لمعنى قول الفقيه أبي الحسن ابن علي السابق في الخِيري يثني أبو جعفر ابن الأبَّار على هذه الزهرة، ويوصي بعدم لوم الخيري على حبسه رائحته في النهار وإطلاقها في الليل؛ لأنه يعدُّ الليل شباباً يستحق أنْ يتطيب ويزهو بنشاطه؛ إذْ شبَّه سواده بشعر الرأس الأسود وقت الشباب، في حين يعدُّ النهار أفولاً للشباب والفتوَّة، وإيذاناً ببدءِ مرحلة الشيخوخة التي يُستخسر فيها الطيبُ، وذلك بجامع البياض بين النهار والشيب.

(34) الحميري، **البديع**، ص 110.

(35) الحميري، **البديع**، ص 114.

(36) الحميري، **البديع**، ص 117.

(37) الحميري، **البديع**، ص 117.

4- السَّوسن: يقول يحيى بن هذيل(389هـ) في وصف أنيق للسوسن:[38] (ابن هذيل، 2010). **[البسيط]**

وَرُبَّ سَــوْسَــنَـةٍ قَبَّلْتُهـا كَلَفـاً وَمالَها غَيْرُ نَشْـرِ المِسْـكِ مَنْشُـوْقِ

مُصْــفَرَّةُ الوَسْــطِ مُبْيَضٌّ جَوانِبُها كَأَنَّها عاشِــقٌ فِي حِجْرِ مَعْشُــوْقِ

يبدي الشاعر إعجابه بالسوسنة التي يقبلها ولعاً بحبها، وليس لها وظيفة غير نشر العبير والرائحة الطيبة، ثم يصوّر تداخل الأصفر بالأبيض وتمازجهما بالعشيقين اللذين يحتضنان، وذلك كناية عن دفء العلاقة، وقوتها بين المحبوب ومحبوبته. ولأبي جعفر ابن الأبَّار تشبيه في السوسن جاء فيه:[39](الحميري، 1997). **[المجتث]**

كَـأَنَّمـا السَّــوْسَــنُ الغَضْــ ضُ مَـنْـظَـراً حِـيْـنَ يُـلْـحَـظْ

فِــهْــرٌ بِــهــاؤونِ دُرٍّ مُشَــطَّــبٌ قَـدْ تَـعَـظْـعَـظْ

يشبه منظر السوسن الطريّ بالحجر الأملس الصلب، داخل الهاون الذي يُسحق فيه الأحجار الكريمة؛ ليعاد تصنيعها بأشكال متعددة، فبدت آثار الدَّقّ تشبه آثار العضّ. إذْ يعد وسطها حجراً أملس، ويشبه جوانبَها بالهاون. ومن الشعراء الأندلسيين الذين وصفوا زهرة السوسن، ابن دراج القسطلي(421هـ) الذي يقول:[40](ابن درّاج القسطلي، 1961). **[المنسرح]**

إنْ كـانَ وَجْـهُ الرَّبِيْعِ مُبْتَسِـمـاً فَـالسَّــوْسَــنُ المُجْتَلى ثَنـايـاهُ

خـافَ عَلَيْـهِ الحَسُــودَ عـاشِــقُـهُ فـاشْــتَقَّ مِنْ ضِــدِّهِ فَسَــمَّـاهُ

يشبه ابن دراج فصل الربيع بإنسان مبتهج، والسوسن ثناياها، ولشدة تعلق عاشق السوسن به، خاف عليه من الحسد، فسمَّاه ضدَّ اسمه الذي يعني الشَّيء السَّيِّء؛ لأن السوسن يعني الشيء المحمود، لذا جاءت حروف كلمة السوسن مشتقة من حروف كلمة السوء، وذلك درْءاً للحسد.

5- شقائق النُّعمان: ويصف أبو الحسن ابن علي الشقائق، وذلك في مدح قاضٍ:[41](الحميري، 1997). **[البسيط]**

إنَّ الشَّـقائِقَ مِنْ حُمْرِ الخُدُودِ قَدِ اشْــ تُقَّـتْ وَمُسْــوَدُّهـا مِنْ حـالِـكِ اللِّمَمِ

كَـأَنَّهـا في المُرُوجِ الخُضْــرِ أَبْنِيَـةٌ حُمْرٌ قَدِ اصْطُلِمَحَتْ مِنْ قانِيءالأُدُمالأدم

يـا بْنَ الّـذِي قَـدْ حَمـاهـا في مَنـابِتِهـا فَلَمْ تَزَلْ في حِمًىً مِنْـهُ وَفي حَرَمِ

مَعْرُوفَـةٌ بـاسْــمِـهِ في كُـلِّ مَطْلَعٍ مَحْفُوظَـةُ المُدَّتَهى مَرْعِيَّـةُ الـذِّمَمِ

يعزو الشاعر حُمرة الشقائق إلى حمرة الخدود، وما يتوسطها يستمد سواده من فروة الرأس؛ لشدة سواده، إذْ يشبه هذه الشقائق على البساط الأخضر بأبنية حمر، استمدت حمرتها من الجلود. ثمَّ يناشد

---

(38) ابن هذيل، **شعر يحيى بن هذيل**، ص 116.

(39) الحميري، **البديع**، ص 141.

(40) ابن دراج القسطلي، **الديوان**، ص 41.

(41) الحميري، **البديع**، ص 155.

القاضي بن الملك النعمان الذي سميت باسمه؛ لأنه حافظ على هذه الزهرة، وجعل لها حمىً، وحرَّم قطفها حرصاً منه على نسل هذا الصنف من الزهر. ولأبي الوليد الحِميري بيتان في وصف الشقائق: [42](الحميري، 1997).**[الطويل]**

رِياضٌ يَحَيِّيها الحَيا بانْسِكابِهِ فَتَسْفِرُ للنُّظّارِ عَن مَنْظَرٍ نَضْرِ

إذا ما بَدَتْ فيها الشَّقائِقُ خِلْتَها شَعُورَ العَذارى لُحْنَ في الخُمُرِ الحُمْرِ

ويقول أبو الوليد إنَّ الماء يُحيي كلَّ شيء، وبه تزهر الرياض، وتتجلَّى في منظر بهيج ونضر، إذْ يشبه الشقائق بشعور عذارى يلبسن مناديل حمراً. ويشبه ابن خفاجة(533هـ) شقائق النعمان بالعساكر في قوله:**[43] (ابن خفاجة، دت).**

[الكامل]

يا حَبَّذا والبَرْقُ يَزْحَفُ بُكْرَةً جَيْشاً رَحِيْقٍ دُوْنَهُ وحَرِيْقِ

حَتَّى إذا ولّى وَأَسْلَمَ عَنْوَةً ما شِئْتَ مِنْ سَهْلٍ وذُرْوَةِ نِيقِ

أَخَذَ الرَّبِيْعُ عَلَيْهِ كُلَّ ثَنِيَّةٍ فَبِكُلِّ مَرْقُبَةٍ لِواءُ شَقِيقِ

يصف انبلاج الصبح، ويشبه الشقائق بجيشين يلاحقانه: العطر الذي يفوح من الرياض، وصورة الروض التي شبهها بالنار المتجمرة، وذلك كناية عن شدة احمرار هذه الزهرة التي انتشرت في السهل والجبل، وأصبحت كأنها ألوية جيوش لكثرة أعدادها.

6- **الظَّيَّان:** يقول محمد بن إسماعيل القاضي (من القرن الخامس الهجري):**[44] (ابن الأبّار، 2008).[الطويل]**

تَرى ناظِرَ الظَّيَّانِ في لَوْن إذا مَرَّ ماءُ السَّحائِبِ يَغْتَذِي

وحَفَّتْ بِهِ أَوْراقُهُ في رِياضِهِ وقدْ قُدَّ بَعْضٌ مِثْلَ بَعْضٍ وَقَدْ حُذي

كَصُفْرٍ مِنَ الياقُوتِ يَلْمَعْنَ بالضُّحى مُنَضَّدَةً مِنْ فَوْق قُضْبِ الزُّمُرّذِ

يكتسب الظيان لونه بعد هطول الأمطار، ويصف الشاعر الأوراق المحيطة بالزهرة بقطع متساوية في الحجم، والزهرة بأحجار الياقوت المركونة على سيقان تشبه الزمرد في لونها.وله فيه أيضاً:**[45] (ابن الأبّار، 2008).**

[المنسرح]

كَأَنَّ لَوْنَ الظّيَّانِ حِيْنَ بَدا نُوَّارُهُ أَصْفَراً عَلى وَرَقِه

لَوْنُ مُحِبٍّ جَفاهُ ذو مَلَلٍ فاصْفَرَّ من سُقْمِهِ ومِنْ أَرَقِه

7- **الورد:** يتغنىابن جَهْوَر(453هـ) في وصفه قائلاً:**[46] (ابن خاقان، 1983).[الكامل]**

---

(42) الحميري، **البديع**، ص 157.

(43) ابن خفاجة، **الديوان**، ص 182.

(44) ابن الأبّار، **الحلة السيراء**، 194.

(45) ابن الأبّار، **الحلة السيراء**، ص 194.

(46) ابن خاقان، **مطمح الأنفس**، ص 185.

الوَرْدُ أَحْسَـنُ مـا رَأَتْ عَيْنِي وأَذْ كى ما سَـقى ماءُ السَّـحابِ الجائِدُ

خَضَـعَتْ نَواوِيرُ الرِّياضِ لِحُسْـنِهِ فَتَـذَلَّلَـتْ تَنْقـادُ وَهْـيَ شَـوارِدُ

وإذا تَبَـدَّى الوَرْدُ في أَغْصـانِـهِ يَزْهُو فَـذا مَيْـتٌ وهـذا حـاسِـدُ

وإذا تَـعَـرَّى الـوَرْدُ مِـن أَوْراقِـهِ بَـقِيَـتْ عَـوارِفُـهُ فَـهُـنَّ خَـوالِـدُ

يستحسن ابن جهور الورد، ويفضله على ما رأت عيناه من الزهور التي خضعت له، وانقسمت تجاهه إلى أربعة أقسام: منها ما انقاد لحسنه، ومنها ما ولَّى شاردًا كالطريدة من السبع، والثالث يموت غيظًا من حسنه وجماله، ويبقى الأخير حاسداً له، ومما نال إعجابه أنَّ الورد ــ وإنْ سقطَت أوراقه ـــ في خريفه يبقى محتفظاً بسيقانه للمواسم المقبلة.ويصف أحمد بن إبراهيم الغساني الورد بألوان مختلفة:[47] (ابن سعيد، 1959).**[البسيط]**

يـا حُسْـنَ وَرْدٍ تَبَـدَّى مِن تَلَوُّنِـهِ فِـي أَحْـمَـرٍ قـانِـئٍ أَوْ أَبْـيَـضٍ يَـقَـقِ

كَـأَنَّ مُبْيَضَّـهُ زَهْرُ النُّجُومِ ولَمْ يُعْـدَلْ بِمُحْمَرِّهِ مِنْ حُمْرَةِ الشَّـفَقِ

كَأَنَّ ما اصْـفَرَّ مِنْهُ فِي أَواسِـطِهِ حَبٌّ مِن السِّمْسِمِ المَجْمُوعِ فِي طَبَقِ

تبهج الشاعرَ ألوانُ الورد الزاهية، ولا سيما الأحمر القاني، والأبيض الناصع، إذْ يشبه الأبيض بالنجوم الفضية المتلألئة، والأحمر بحمرة الشفق، أمَّا الأصفر فيشبهه بطبق من السمسم؛ لشدة اصفراره.

8- **النَّرجس:** يقول ابن عطية في بركة نرجس:[48] (ابن خاقان، 1990). **[الرمل]**

نَرْجَسٍ بـاكَرَتْ مِنْـهُ رَوْضَـةٌ لَـذَّ قَطْـعُ الـدَّهْرِ فِيْـهـا وعَـذُبْ

حَـثَّـتِ الـرِّيْـحُ بِـهـا خَـمْـرَ حَـيـا رَقَصَ النَّبْـتُ لَـهـا ثُـمَّ شَـرِبْ

فَـغَـدا يُسْـفِـرُ عَـنْ وُجْـنَـتِـهِ نَـوْرُهُ الـغَـضُّ وَيَـهْـتَـزُّ طَـرِبْ

وبَيـاضُ الطَّـلِّ فِي صُـفْرَتِـهِ نَقْطُ الفِضَّـةِ في خَطِّ الـذَّهَـبْ

يصف الشاعر بركة نرجس، درج المتنزهون على زيارتها، ولم تكن حديثة العهد، ويرقب فيها الريح اللينة التي حملت معها قطرات النَّدى التي رقص لها النرجس، ورأى فيها خمرًا أسالت لعابه فشربها، وأخذت عندها تتفتح نواوير النرجس الغضة، وتترنح سيقانه بعد انتعاشها بقطرات الندى التي شبهها الشاعر بنقط الفضة على سوار الذهب. ويصف أحمد بن أبي القاسم الخلوف الأندلسي(899هـ) نرجسة في قوله:[49](ابن الخلوف، 1873). **[الوافر]**

وَنَرْجِسَـةٍ كَسـاها الحُسْـنُ لَما تَشَـقَّقَ عَنْ مَعـاطِفِهـا اللِّبـاسُ

كَصَـفْحَةِ فِضَّـةٍ في كَفِّ سـاقٍ تَـجَـلَّـى فَـوْقَـهـا لِـلـتِّـبْـرِ كـاسُ

(47) ابن سعيد، **رايات المبرزين**، ص 144.

(48) ابن خاقان، **قلائد العقيان**، ص 515.

(49) ابن الخلوف، **الديوان**، ص 97.

يصف الشاعر جمال النرجسة وهي برعم يتفتح، وعند اكتمالها يشبهها بإبريق فضي لريّ الزهور، ويعلوه ألوان من الزهر الأصفر الذي يشبه كؤوس العسجد. وأنشد أبو الوليد الحِميري في النرجس:[50] (الحميري، 1997). **[الطويل]**

ورَوْضٍ أَرِيْضٌ لم يَزَلْ يَغْتَذي بِما ... يَرُوحُ عَلَيْهِ مِنْ سَحابٍ ويَغْتَدِي

بَدا النَّرْجِسُ المُصْفَرُّ فِيه مُباهِياً ... بِلَوْنٍ كَلَوْنِ المُسْتَهامِالمُسَهَّدِ

تَرى كُلَّ نَوْرٍ مِنْهُ فَوْقَ قَضِيْبِهِ ... كَلِمَّةِ تِبْرٍ فَوْقَ جِيْدِ زَبَرْجَدِ

يبدي الشاعر إعجابه بهذا الروض الذي يُسقى من ماء المطر، ويظهر فيه النرجس متباهياً بلونه الشديد الصفرة، وقد شابه بَشرة المحبِّ التي بدت عليها آثار الحرمان والقطيعة، ويشبه كلَّ نوْر على حدة بحجر من الذهب، مركَّب على عنق طويلة صنعت من أحجار كريمة.

9- النيلوفر: يقول محمد بن إسماعيل ذو الوزارتين(433هـ):[51] (الحميدي، 2004). **[البسيط]**

يا حُسْنَ مَنْظَرِ ذا النَّيْلُوفَرِ الأَرِجِ ... وحُسْنِ مَخْبرِهِ في الفَوْحِ والأَرَجِ

كأَنَّهُ جامُ دُرٍّ في تَأَلُّقِهِ ... قَدْ أَحْكَمُوا وَسْطَهُ فصَّاً مِنَ السَّبَجِ

يتعجب الشاعر من منظر النيلوفر الذي انتشرت رائحته، وملأت المكان، ويشبه بياضة بإناء فضّي تآلف فتألّق، ورُصِّعَ وسطه بخرزة سوداء ساحرة. ويقول:[52] (الحميري، 1997). **[مجزوء الرجز]**

كأَنَّما النَّيْلُوفَرُ الـ ... مُسْتَحْسَنُ الغَضُّ البَهِجْ

مُقْلَةُ خَوْدٍ مُلِئَتْ ... سِحْراً وغُنْجاً ودَعَجْ

أوْ خاتَمٌ مِنْ فِضَّةٍ ... وفَصُّهُ مِنَ السَّبَجْ

يشبه في هذا القول زهرة النيلوفر ذات الملمس الطري، والشكل البديع بطَرْف فتاة حسناء ناعمة تتسم بالدعابة والمرح، وشُبِّهت لجمالها الساحر الأخَّاذ بخاتم فضة، تتوسطه خرزة سوداء أو حجر كريم. ونظم الوزير أبو عامر ابن مسلمة أبياتًا يمدح فيها الحاجب، ويقدم فيها وصفًا رائقًا للنيلوفر:[53] (الحميري، 1997). **[السريع]**

يا حَبَّذا النَّيْلُوفَرُ الطّالِعُ ... ومُجْتلاهُ النَّاضِرُ النَّاصِعُ

كأَنَّهُ مَخْزَنَةٌ مِن مَها ... في وَسْطِها زُمُرُّدٌ ساطِعُ

وحَوْلَهُ أَلْسِنَةٌ سِتَّةٌ ... مِنْ فِضَّةٍ أَتْقَنَها صانِعُ

كُلُّ لِسانٍ أَبْيَضٌ ناصِعٌ ... والطَّرْفُ مِنْهُ أَصْفَرٌ فاقِعُ

قامَ على خَضْراءَ مِنْ سُوقِهِ ... فَكُلُّ إِبْرِيْقٍ لَهُ راكِعُ

---

(50) الحميري، **البديع**، ص 124.

(51) الحميدي، **جذوة المقتبس**، ص 85.

(52) الحميري، **البديع**، ص 145.

(53) الحميري، **البديع**، ص 147.

يتغنى الشاعر بمنظر النيلوفر النَّضر، وطلته البهية، ويشبهه بخزنة من الدرِّ التي يتوسطها أحجار زمرِّد، ويصف الألسن الناصعة البياض، وهي تتخلل زهرة النيلوفر بأنها ألسن متقنة، ومصنوعة من الفضة، حيث يظهر في أواخرها خيوط صفر، إذ يمكن تشبيه اللسان مع الصَّفار بالملعقة الفضية التي انغمس رأسها في العسل، ويصور المشهد الكلي لهذه الزهرة والألسن، عندما عدَّ كلَّ واحد فيها إبريقًا، تركع له الأباريق كلها؛ لأنه تحفة فنية، عُنيت بها ريشة فنان بارع. ويقول أبو جعفر ابن الأبَّار في مدح ذي الوزارتين:[54] (الحميري، 1997).**[المتقارب]**

إذا الـنَّـوْرُ خُـصَّ بِـمَـدْحٍ فَـمـا لِـنَـيْـلُـوفَـرِ الـرَّوْضِ لا يُـعْـبَـدُ

وَأَوْراقُـهُ كَـعْـبَـةٌ مِـنْ لُـجَـيْـنٍ تَـوَسَّـطَـهـا الـحَـجَـرُ الأَسْـوَدُ

يضـفي أبو جعفر على وصـف النيلوفر مسـحة دينية، ولا يكتفي بمدحه كبقية الزهور؛ ويرى أنه يستحق العبادة لحسنه وجماله الذي يجعل من أوراقه الفضية ستائر شبيهة بستائر الكعبة، والنَّوْر الأسود الذي يتوسطها بالحجر الأسود، ومع جمال هذا التشبيه، فقد أغفل الشاعر موطن الحجر الأسود من الكعبة، إذْ لا يتوسطها، بل يتموضع في الرُّكن الأيمن من الكعبة.أما ابن حمديس(527هـ) فيقول فيه:[55] (ابن حمديس، دت).**[الطويل]**

وَنَـيْـلُـوْفَـرٍ أَوْراقُـهُ مُسْـتَـدِيْـرَةٌ تَـفَـتَّـحَ فِـيـمـا بَـيْـنَـهُـنَّ لَـهُ زَهْـرُ

كَما اعْتَرَضَتْ خُضْرُ التِّراسِ وبَيْنَها عَوامِـلُ أَرْمـاحٍ أَسِـنَّتُـهـا حُـمْرُ

هُوَ ابْنُ بِلادِي كـاغْتِرابِي اغْتِرابُـهُ كِلانـا عنِ الأَوْطـانِ أَزْعَجَـهُ الدَّهْرُ

يشـبه ابن حمديس أوراق النيلوفر المستديرة بالتروس، والزهرة التي تتوسط الورقة بسنان الرمح الذي يتعلق الترس به، ويقول إن هذه الزهرة غريبة في بلاد الأندلس كاغتراب ابن حمديس عن صقلية، ولعل ذلك يذكرنا بقول عبد الرحمن الداخل في وصف النخلة، وهو قول مشهور. وله في النيلوفر أيضاً:[56] (ابن حمديس، دت).**[سريع]**

كـأَنَّـمـا الـنَّـيْـلُـوْفَـرُالـمُـجْـتَـنـى وقَـدْ بَـدا لِـلْـعَـيْـنِ فَـوْقَ الـبَـنـانْ

مـداهِـنُ الـيـاقُـوْتِ مُـحْـمَـرَّةً قَدْ ضُـمِّنَتْ شَـعْراً مِن الزَّعْفَرانْ

10-الياسمين: يقول ابن الأبَّارالقُضاعي في وصفه(658هـ):[57] (ابن الأبّار، 1985).**[مجزوء الوافر]**

حَـدِيْـقَـةُ يـاسَـمِـيْـنٍ لا تَـهِـيْـمُ بِـغَـيْـرِهـا الـحَـدَقُ

إذا جَـفْـنُ الـغَـمـامِ بَـكـى تَـبَسَّـمَ ثَـغْـرُهـا الـيَـقِـقُ

كـأَطْـرافِ الأَهِـلَّـةِ سـا لَ فـي أَثْـنـائِـهـا الشَّـفَـقُ

يصـف الشـاعر حديقة ياسـمين، ويقول إنَّ جمالها يهيم به الناظرون، ويهوي أفئدتهم، وإذا هطلت الأمطار أخذت أزاهيرها بالتفتُّح، حيث يشبهها بالثغر الباسم الذي يفترُّ عن أسنان ناصعة البياض،

---

(54) الحميري، **البديع**، ص 149.

(55) ابن حمديس، **الديوان**، ص 185.

(56) ابن حمديس، **الديوان**، ص 490.

(57) ابن الأبّار، **الديوان**، ص 453.

ويشبه تداخل اللون الأحمر بالأبيض بتداخل الشفق مع أطراف الأهلة، التي يظهر لونها كالفضة. ومن أرفع ما قيل في الياسمين قول محمد بن إسماعيل القاضي:[58] (ابن الأبّار، 2008). **[المنسرح]**

يا حَبَّذا الياسَمِيْنُ إذْ يُزْهِرُ فَوْقَ غُصُونٍ رَطِيْبَةٍ نَضِرِ

قَد امْتَطى لِلْجَمالِ ذِرْوَتها فَوْقَ بِساطٍ مِنْ سُنْدُسٍ أَخْضَرِ

كَأَنَّهُ والعُيُونُ تَرْمُقُهُ زُمُرُّدٌ في خِلالِهِ جَوْهَر

يحبذ الشاعر زهور الياسمين لنضارتها المستمدة من طراوة غصونها، إذْ يرى فيها صورة بديعة رسمتها ريشة فنان على سجادة محبوكة من السندس، وكأن ملامحها أحجار من الزمرّد يتوسطها فصوص من الجواهر. ومن ذلك قول عباد ابن محمد(464هـ): [59] (ابن الأبّار، 2008). **[المنسرح]**

كَأَنَّما ياسَمِيْنُنا الغَضُّ كَواكِبٌ فِي السَّماءِ تَبْيَضُّ

والطَّرْقُ الحُمْرُ فِي جَوانِبِهِ كَخَدِّ عَذْراءَ مَسَّهُ عَضُّ

يرسم الشاعر صورة لزهر الياسمين، ويشبهها بالأنجم اللامعة في السماء، أما بقع الأرض المنقوشة بين شجيرات الياسمين، فتشْبه في حمرتها الخدوشَ التي لحقت بالخدود إثْر عضِّها.

ثانياً- النواوير

1- نَوْر اللَّوْز: ومن جميل القول في نور اللوز، قطعة نفيسة جاءت على لسان ابن القُوطيَّة(367هـ) يمدح فيها ذا الوزارتين أبا عمرو عباد، كان منها:[60](ابن سعيد، 1973). **[البسيط]**

وَأَبْيَضِ اللَّوْنِ ذِفْلِيٍّ غَلائِلُهُ عَلَيْهِ مِنْ نَسْجِ كانُوْنَيْنِ أَبْرادُ

يَقُوْلُ مُبْصِرُهُ: سُبْحانَ فاطِرِهِ كَيْفَ اسْتَقَلَّتْ بِهذا الحُسْنِ أَفْرادُ

تُشَبَّهُ الخُوْخُ فِي حُسْنِ النّوارِ بِهِ يا قَوْمُ حَتَّى مِنَ الأَشْجارِ حُسَّادُ

يُدهش الشاعر من المنظر العجيب لنَوْر اللَّوز، ويشبهه بالملابس الرقيقة التي دقَّت في سمكها، وذلك في قوله: ذفلي الغلائل، وتارة يشبهه بحبِّ البَرد الذي تساقط طوال شهري: كانون أول وكانون ثانٍ. ويبعث منظره البهيج إلى تسبيح الخالق والتفكر في قدرته على هذه الصنعة التي جعلت كلَّ نور بمفرده قطعة من الحسن والبهاء، مما خلق لهذا النَّوْر حُساداً من أبناء جلدته من الأشجار، وبخاصة نَوْر الخوخ الذي يُشَبَّهُ لجماله بنوْر اللوز. كما وصف الوزير ابن مسلمة زهر اللوز في قوله:[61] (الحميري، 1997). **[السريع]**

يا زَهْرَ اللَّوْزِ لَقَدْ فُقْتَ فِي الـ إحْسانِ والحُسْنِ فَأَنْتَ البَدِيْعْ

قَدْ أَمَّكَ الوُصَّافُ إذْ شَبَّهُوا غَيْرَكَ بِالخَدِّ وَجارَ الجَمِيْعْ

فَلَوْنُكَ المُشْرَبُ فِي حُمْرَةٍ مَنْ يَرَهُ لا يَسْتَطِيعْ

---

(58) ابن الأبّار، **الحلة السيراء**، ص 194.

(59) ابن الأبّار، **الحلة السيراء**، ص 202.

(60) ابن سعيد، **رايات المبرزين**، ص 113.

(61) الحميري، **البديع**، ص 151.

فُقْتَ النَّواوِيْرَ اعْتِلاءً فَما فِي زَهْرِها غَيْرُ سَمِيْعٍ مُطِيْعْ

يتفوق نوْر اللوز في بهائه على صنوف النواوير كافة، حيث شُبه بالوجنة المشرَّبة بالحمرة، إذْ لا يصمد الإنسان أمام هذا المنظر البديع الذي خلق له تحدِّياً، ودفع بالجميع إلى ظلمه؛ لكن هذا التفوّق في الجمال أجبر بقية الزهور على السَّمع والطاعة.

2- نَوْر الرّمان " الجُلَّنار": يقول الحِميري في وصف الجلنار: **[62](الحميري، 1997).** **[المجتث]**

وَجُلَّنارٍ تَبَدَّى يَخْتالُ في جُلِّ نارِ

أَحْلى حُلىً مِنْ جَمِيْعِ الـ أَنْوارِ والأَزْهارِ

حَكى خُدُودَ العَذارى قَدْ شُرِّبَتْ باحْمِرارِ

يزهو الجُلَّنار بنفسه، إذْ يعده الحِميري أفضل صنوف النواوير، ويوظف التشبيه والتجنيس في البيت الأول، ويشبهه بخدود العذارى التي تشرَّبت الحمرة، وصارت ملمحاً بارزاً لها.

ومن التشبيهات التي جاءت في وصف نَوْر الرمان قول أبي جعفر ابن الأبَّار: **[63](الحميري، 1997).** **[المنسرح]**

أعْجِبْ بأَيْكِ الرُّمانِ حِيْنَ بَدا نُوَّارُهُ المُحْتَوِي مَدى السَّبْقِ

مِثْلَ أَكُفِّ الدُّمى مُحَنَّاةً أوْ كَبَنانِ الحَمائِمِ الوُرْقِ

يعجب الشاعر بأغصان الرمان الملتفة التي تجلَّى نوَّارها، وكأنه في سباق، ثم يشبه هذا النَّوْر بأكفِّ الدُّمى المخضَّبة، أو كأرجل حمام الوُرْق، وذلك لحمرتها.

ويقول ابن هانئ الأندلسي في وصف نَوْر الرمان:**[64](الحميري، 1997).** **[الرجز]**

وَبِنْتِ أَيْكٍ كالشَّبابِ النَّضْرِ كَأَنَّما مَجَّتْ دَماً مِنْ نَحْرِ

أوْ سُقِيَتْ بِجَدْوَلٍ مِنْ خُمْرِ أَوْ نَبَتَتْ فِي تُرْبَةٍ مِنْ جَمْرِ

تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ اللِّثاتِ الحُمْرِ في مِثْلِ طَعْمِ الوَصْلِ بَعْدَ الهَجْرِ

يشبه النَّواوير على الغصون الحُمر بالفتوَّة للمَعانها، ويرى أنها امتصت الدِّماء حتى اكتسبت الحُمرة، أو تشربت الخمر، أو نبتت في أرض من الجمر، وكلُّ ذلك كناية عن شدة احمرارها، كما يشبهها باللِّثات الحُمر التي تفترُّ عند الوصل ابتهاجاً بعد طول انقطاع.

3- نور الباقلاء: ومن الأقوال البهية في هذا النَّوْر قول ابن القوطيَّة:**[65](الحميري، 1997).** **[الخفيف]**

وَبَناتٍ لِلْباقِلَّاءِ تَبَدَّتْ كَعُيُوْنٍ تَفَتَّحَتْ مِنْ رُقادِ

فَبَياضٌ مِنْها مَكانَ بَياضٍ وَسَوادٌ مِنْها مَكانَ سَوادِ

---

(62) الحميري، **البديع**، ص 164.

(63) الحميري، **البديع**، ص 164.

(64) الحميري، **البديع**، ص 163.

(65) الحميري، **البديع**، ص 157.

يشبه الشاعر نَوْر الباقلاء بالعيون التي فتحت جفونَها بعد نوم عميق، فبياض هذا النَّوْر يقابل بياض العين، وسواده يقابل سوادها. ولأبي جعفر ابن الأبَّار أبيات تصف نَوْر الباقلاء، وهي موصولة بمدح أبيه:[66](الحميري، 1997).

[مجزوء الرجز]

وبـــاقِـــلاءٍ بـــاقِـــلٍ يُـعْـجـبُ حُسْـــنـاً مَـنْ رَمَـقْ

كـــأنَّـــمـــا نُـــوَّارُهُ إذْ راقَ خَـلْـقـاً وَخُـلُـقْ

أذْقَـانُ بِـيْـضٍ غُـلِّـفَـتْ لِـمُـبْصِـرٍ ومُـنْـتَشِـقْ

أوْ أعْـيُـنٌ حُـورٌ جَـرَتْ إلـى مَـآقِـيْـهـا الـحَـدَقْ

وَهُـدْبُـهـا مُسْـتَـبْـطِـنٌ فـي وَرَقٍ مِـنَ الـوَرِقْ

يصف الشاعر منظر نوّار الباقلاء الحسنَ الذي أعجب الناظرين، واستوى خِلقةً وأخلاقاً، ويشبهه بالذقون البيض المغلفة بالعطر الذي يستنشقه المبصرون، ويشبه هذا النَّور بالعيون الحور التي تبتعد حدقاتها عن وسط بياض العين، وتركن في مجرى الدَّمع، ويشبه قرن الباقلاء المغلف بالنَّوْر الذي لم ينضج بعد، بالدراهم التي غُلِّفت بالورق، وهو ما يشبه الصُّرَّة، ويكنَّى بذلك إلى الشيء النفيس. ويقول الحِميري في وصف هذا النَّوْر:[67](الحميري، 1997). **[الطويل]**

أرى البـاقِلّاءَ البـاقِلَ اللّوْن لابِسـاً بُرُودَ سَـماءٍ مِن سَـحائِبِها غُذي

تَرى نَوْرَهُ يَلْتـاحُ في وَرَقـاتِـهِ كـبُـلْـقِ جِـيـادٍ فـي جِـلالِ زُمُـرُّذ

يبتهج الشاعر من المنظر الحسن لقرون الباقلاء الخضر، ويشبه قشرتها الندِيَّة ببُرْدٍ يغذيها ماء المطر، ويشبه بزوغ نوْر الباقلاء في لونيه: الأبيض والأسود بالخيل المبرقعة، وقد تغطت بالزمرّد.

4- نَوْر الكَتَّان: يقول الحِميري في وصفٍ نادر لهذا النَّور: [68](الحميري، 1997). **[المنسرح]**

كَـأنَّ نَـوْرَ الـكَـتَّـانِ حِـيْـنَ بَـدا وقَـدْ جَلا حُسْـنُـهُ صَـــدا الأَنْفُسْ

أكُـفُّ فَـيْـرُوْزَجٍ مَـعـاصِـمُـهـا قَـدْ سَـتَرَتْهُنَّ خُضْـرَةُ المَلْبسْ

يرى الشاعر في نوْر الكتان عندما جلا في حسنه، شفاءً لصدأ النفوس، إذْ يشبه الزهرة بمعاصم فتاة مستورة بالسيقان الخضر.

- المبحث الثاني: الأقوال التي جاءت في النثر

ومن الأقوال التي وصفت الزهور والنوَّار ما قاله صاحب الشرطة أبو الوليد ابن العثماني، عندما أرسل إلى أبي الوليد الحِميري مُطيَّبَ خيريّ، ومعه هذه القطعة النثريَّة ((بَعَثْتُ بِخيْريٍّ حازَ حَدَّ التَّكْبِيرِ بِأُنْسِهِ، فَحازَ قَصَبَ السَّبْقِ في أَبْناءِ جِنْسِهِ، مَنْظَرُهُ أَرْبى على المِسْكِ بِنَضْرَتِهِ، ومَخْبَرُهُ قَصَّرَ عَن شِـيَمِكَ على بَسْـطَتِهِ. فاقْبَلْهُ بِحَقِّ المَجْدِ عَلَيْكَ، ووسـائِلِ الحَمْدِ إِلَيْكَ، بَهِجاً مَنْظَرُهُ، أَرِجاً مَخْبَرُهُ، إذا دَنا الظَّلامُ ونامَ الأَنامُ، إلا مَنِ اسْتَدْعى عَرْفَه، واسْتَجْدى عُرْفَه)).[69](الحميري، 1997).

يجعل أبو الوليد الخِيريّ أنيساً؛ مما خوَّله حيازة الرفعة بين أقرانه، ويقول إنَّ الخيريَّ في شكله أزيد من المسك في نضارته، ويرى أن حقيقة البهار ـــ مع قوة شذاه ـــ لم تفِ الممدوح حقه، وأخذ

(66) الحميري، **البديع**، ص 158.

(67) الحميري، **البديع**، ص 159.

(68) الحميري، **البديع**، ص 162.

(69) الحميري، **البديع**، ص 118.

يطنب عليه أنْ يقبله ببالغ الشكر له، والثناء عليه، ومع حلول الظلام، ونوم الخلْق، استدعى عَرفه، وقصد بذلك عبقه الفوّاح، مستعيناً بعُرفِهِ الشبيه بعُرف الدِّيك.

ولأبي الوليد الحِميري قطعة نثرية بعث بها مع باقة من الورد إلى صـاحب الشـرطة أبي الوليد ابن العثماني جاء فيها ((بَعَثْتُ بِخُدُودِ المَعْشُـوقِين قَدْ أَدْمَتْها أَلْحاظ العاشِـقِين، وأَدْمَنَتْ عَلَيْها ناظِرَةً، فَتَساقَطَتْ هكذا ناضِرَةً، فاحْكُمْ على العُيُونِ لِلْخُدودِ على أَلَّا تَعُودَ إلى الصُّدُودِ، والسَّلام)).[70](الحميري، 1997).

يبين أبو الوليد أن سـبب احمرار الورود، هو كثرة نظرات العاشـقين إليها، فأصـبحت زهوراً نضرة، ويوصي صاحب الشرطة بأنْ يدعو العيون إلى الاستمرار في إمعان النظر إلى هذه الورود؛ كي تظلَّ متشربة للحمرة.

الخاتمـــــة: بعد الفراغ من هذه الدراسة تبيَّن أن هناك مجموعة من النتائج التي يمكن الإفادة منها، وهي على النَّحْو الآتي:

أولاًـــ لم يقتصر وصف الزهور على الشعراء المشاهير؛ بل نافسهم في ذلك شخصيات رسمية من رموز الدولة، أمثال الوزير أبي عامر ابن مسلمة.

ثانيًاـ تنوعت الصورة عند الشعراء، منها الصورة اللونية، والصورة الحسية، والصورة الشميَّة.

ثالثًاـ كان وصـف الأزهار في الشـعر أوسـع منه في النثر. وكان الشـعر في الأقوال التي اختصـت بنوْر واحد قليلاً قياساً بالأقوال التي تناولت أكثر من نَوْع.

رابعًاـ بالرغم من دقة الوصف وبراعة الإتقان في تشكيل الصورة، فإنَّ هناك صوراً مبالغاً فيها.

خامسًاـ جارى الشعراء الأندلسيون نظراءهم المشارقة الذين اتخذوهم قدوة في وصف الزهور، بل وقدموا إضـافات جديدة، تمثلت في تنويع المشـبه به في الزهرة الواحدة، عند الشـاعر نفسـه أو عند مجموعة منهم.

ثبت المصادر

1- ابن الأبَّار، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(658هـ): **الحُلَّة السِّيراء**، تعليق: علي إبراهيم محمود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2008.

2- ابن الأبَّار، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(658ه)ـ: **الديوان**، تعليق: عبد السلام الهرَّاس، تونس: الدار التونسية، 1985.

3- أبو إسحق بن أبي عون(322هـ): **كتاب التشبيهات**، تصحيح: محمد عبد المعيد خان، مطبعة جامعة كامبردج، 1950.

4- ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني(542هـ): **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: سالم مصطفى البدري، ط1، بيروت: دار الكتب العلميَّة، 1998.

5- التجيبي، أبو بحر صفوان بن إدريس(598هـ): **زاد المسافر وغرّة محيّا الأدب السافر**، تحقيق: محمد بنشريفة، ط1، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 2012.

6- ابن حمديس، أبو محمد عبد الجبار بن محمد (527هـ): **الديوان**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، دت.

7- الحُميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح(488هـ): **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، شرح: صلاح الدين الهوَّاري، ط1، المكتبة العصرية، 2004.

8- الحِميري، أبو الوليد إسماعيل بن محمد(440هـ): **البديع في فصل الربيع**، تحقيق: علي إبراهيم كردي، ط1، دمشق: دار سعد الدين، 1997.

(70) الحميري، **البديع**، ص 134.

9- ابن خاتمة، أحمد بن علي الأنصاري(770هـ): **الديوان**، تحقيق: محمد رضوان الدَّاية، دمشق: وزارة الثقافة، 1972.
10- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله(529هـ): **قلائد العِقيان**، تحقيق: الطاهر ابن عاشور، تونس: الدار التونسية، 1990.
11- ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله(529هـ): **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تحقيق: محمد علي شوابكة، ط1، مؤسسة الرسالة، 1983.
12- ابن خفاجة، أبو إسحق إبراهيم بن أبي الفتح(533هـ): **الديوان**، بيروت: دار صادر، دت.
13- ابن الخلوف، أحمد بن أبي القاسم(899هـ): **الديوان**، نشر: سليم أفندي نقولا المدور، بيروت: مطبعة السليمية، 1873.
14- ابن دِحية، أبو الخطاب عمر(633هـ):**المطرب من أشعار أهل المغرب**، شرح: صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت: المكتبة العصريَّة، 2008.
15- ابن درَّاج القسطلي، أبو عمر أحمد بن محمد(421هـ): **الديوان**، تحقيق: محمود علي مكِّي، ط1، دمشق: منشورات المكتب الإسلامي، 1961.
16- ابن الرُّومي، أبو الحسن بن العباس بن جريح(283هـ): **الديوان**، شرح: أحمد حسن بسج، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002.
17- ابن الزَّقاق، علي بن عطية بن مطرف البلنسي(529هـ): **الديوان**، تحقيق: عفيفة ديراني، بيروت: دار الثقافة، 1964.
18- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى(685هـ): **اختصار القدح المعلَّى في التاريخ المحلَّى**، اختصار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خليل، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1959.
19- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى(685هـ): **رايات المبرّزين وغايات المميزين**، تحقيق: النعمان عبد المتعال القاضي، القاهرة: مطابع الأهرام التجارية، 1973.
20- الضَّبِّي، أحمد بن يحيى بن أحمد العميري(599هـ): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997.
21- ابن عبد ربّه، أحمد بن محمد(328هـ): **الديوان**، تحقيق: محمد رضوان الدّاية، ط3، دمشق: دار الفكر، 2003.
22- الكتاني، أبو عبد الله محمد (420هـ): **كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**، تحقيق: إحسان عباس، ط3، بيروت: دار الشروق، 1986.
23- المقَّري، أحمد بن محمد التِّلمساني(1041هـ): **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، ط5، بيروت: دار صادر، 2008.
24- ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم(711هـ): **لسان العرب**، ط3، بيروت: دار صادر، 2004.
25- ابن هانئ، أبو القاسم محمد الأزدي الأندلسي(326هـ): **الديوان**، بيروت: دار صادر، دت.
26- ابن هذيل، أبو بكر يحيى بن هذيل بن عبد الملك(389هـ): **شعر يحيى بن هذيل الأندلسي**، جمع: حمدي منصور، ط1، عمَّان: دار الفكر، 2010.